

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[311] يقال إن قمم الجبال السماء إلى جانبها دائماً وديان عميقة. وإزاء منحنيات الصعود في التكامل الإنساني توجد منحنيات نزول فطیعة، ولیمَ لا يكون كذلك وهو الموجود الملیء بالكفاءات الثرّة التي إن سخرها على طريق الصلاح يبلغ أسمى قمم الفخر وإن استعملها على طريق الفساد يخلق أكبر مفسدة، وينزل طبعاً إلى "أسفل سافلين". ولكن الآیة التالية تقول: (إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون). "ممنون": من "المن" وتعني هنا القطع أو النقص، من هنا فالأجر غير مقطوع ولا منقوص، وقيل: إنّه خال من المنّة، لكن المعنى الأوّل أنسب. قيل: إنّ قوله: (ثمّ ردناه أسفل سافلين) تعني ضعف الجسم والذاكرة في شيخوخة الإنسان، ولكن هذا التفسير لا ينسجم مع الإستثناء المذكور في الآیة التالية، ولذلك نختار التفسير الأوّل. الآیة التالية تخاطب هذا الإنسان الكافر بأنعم ربّه والمعرض عن دلائل المعاد وتقول له: (فما يكذبك بعد بالدين). تركيب وجودك من جهة، وبنیان هذا العالم الواسع من جهة أخرى يؤكّدان أن هذه الحياة الخاطفة لا يمكن أن تكون الهدف النهائي من خلقتك وخلقة هذا العالم الكبير. هذه كلّها مقدمات لعالم أوسع وأكمل، وبالتعبير القرآني، هذه "النشأة" الأولى تنبئ عن "النشأة الأخرى"، فلمَ لا يتذكر الإنسان؟! (ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون). (1) عالم النبات كلّ عام يجسّد مشهد الموت والبعث أمام عين الإنسان، وتطور _____ 1 - راجع أدلة المعاد في تفسير سورة الواقعة.